الفصل الثالث

كيف يؤثر ثناؤنا وتعليقاتنا على طرق تفكير أطفالنا؟

«أحب قول أمي إنني مجدٌّ في عملي!»

– فوزي، عمره 9 أعوام

إن كلمة ثناء بالإنجليزية تعني (Praise) وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية (pretaire) والتي تعني قدرًا كبيرًا من التقدير. وهي كلمة مناسبة؛ حيث إنه لا يوجد أي شيء ذي قيمة لدى أولياء الأمور أكثر من أطفالهم. فعندما نقدم الثناء إلى أطفالنا، قد يكون لدينا أسباب عدة للقيام بهذا الأمر، ولكن في صميم القلب نحن نريد أن يشعر أطفالنا بالارتياح وبأنهم يحظون بالتقدير.

وعلى الجانب الآخر فإن التعليق لا يُقصَد به الحصول على «حضن دافئ»، وبدلاً عن ذلك فإنه يوفر الكثير من المعلومات المحددة حول كيفية أداء المهمة، وعلى الأغلب يُستخدَم لإقرار السلوك أو لتعزيزه، أو لتحسينه. ونقدم نحن البالغون التعليقات للأطفال من منطلق جهودنا الرامية إلى

تعليمهم كيفية إكمال المهمة، وتحسين المهارة، وانتهاج شيء ما بطريقة جديدة، أو الوصول إلى حل لمشكلة.

ولا يقضي أغلبنا كثيرًا من الوقت في التفكير حول أسلوب تقديم الثناء والتعليق وأهداف التقديم؛ إننا نقول ما نظن أن الطفل بحاجة إلى سماعه في هذه اللحظة. ولكن إذا استغرقنا بعض الوقت لتأمل الثناء والتعليقات من خلال عدستي طريقتي التفكير الثابتة والمتطورة، فسنجد أوجهًا أخرى لهذا الأمر. هناك عامل واحد نتغاضى عنه غالبًا وهو التفكير حول **ماذا سيحدث فيما بعد في دماغ الطفل بعد تلقيه الثناء أو التعليق**. حيث إننا بحاجة إلى توقع كيفية تعامل الطفل أو ما قد يفكر به على الفور عقب تقديم التعليق أو الثناء. وتكمن القوة الحقيقية للثناء والتعليقات في الجمع بينهما بفاعلية، واختيار الألفاظ التي تعزز طريقة التفكير المتطورة التي نرغب في تطويرها عند أطفالنا.

مشكلة الثناء

كشف بحث كارول دويك (2006) الغطاء عن أن تقديم الثناء للأطفال على قدراتهم يدفعهم مباشرةً نحو التفكير بطريقة ثابتة، كما أنها تخفض المتعة التي يحظون بها من المشاركة في التجربة. لنأخذ السيناريو التالي بعين الاعتبار:

> ربتت الأم على كتف ابنها فخورةً به قائلةً: «إنك لاعب كرة موهوب بالفطرة يا مازن!» وذلك عند خروجه من إحدى مباريات دوري الناشئين التي أحرز فيها ثلاثة أهداف، اثنين منها عن طريق تسديدة قوية. وكانت أم مازن متحمسة ومبتهجة بالمباراة الرائعة التي قدمها ابنها، وأرادته أن يعرف كم هي فخورة به وأنها فطنت لموهبته في كرة القدم.

ما الذي سمعه مازن البالغ من العمر 9 أعوام؟ لقد سمع مازن بضعة أشياء هي:

- أنه رائع في لعب كرة القدم.
- وُلِد هدافًا بالفطرة.
- سيمثل إزعاجًا كبيرًا لخط الدفاع.
- والدته فخورة به وسعيدة.

وتكمن القوة الحقيقية للثناء والتعليقات في الجمع بينهما بفاعلية، واختيار الألفاظ التي تعزز طريقة التفكير المتطورة التي نرغب في تطويرها عند أطفالنا.

ماذا يحدث فيما بعد؟ لن يرى مازن حاجة للتدرب كثيرًا على الأرجح، نظرًا لافتراضه أنه «موهوب بالفطرة» وليس بحاجة لقضاء الوقت لتحسين مهاراته. ويدخل مازن المباراة التالية بكل ثقة، ولكن بعدما يهدر هدفين محققين، وأصبح مرتبكًا ومحبطًا. لما لم يُسكِن الكرة الشباك؟ فمن المفترض أنه بارع في هذا الأمر! حتى إن والدته أخبرته بذلك! لا بد أن آمالها به ستخيب عند اكتشافها أنه ليس هدافًا بارعًا كما كانت تعتقد.

هل لاحظت أن والدة مازن قدمت الثناء إليه على كونه «موهوبًا بالفطرة»؟ وهذا ما أشارت إليه دويك على أنه «ثناء على السمات الشخصية». فعندما تقدم الثناء إلى شخص على سمة شخصية به مثل كونه ذكي أو موهوب بالفطرة في شيء ما، فإنك تنقل الاعتقاد بأن النجاح ناجم عن سمة شخصية موروثة ولا يملك الطفل إمكانية التحكم بها. وهذا مثل قولك «إنك فارع الطول». حيث إن الطول ليس بالأمر الذي يمكن لطفل أن يتحكم به أو يغيره ببذل مجهود، وروح المثابرة، والعمل الجاد.

كان من المفترض أن تستخدم والدة مازن ما تطلق عليه دويك «الثناء على التصرف» بدلاً عما قالته؛ إذ إنَّ الثناء على التصرف يكون موجهًا إلى ما فعله بدلاً عن ماهيته. وفي حالة مازن، كان من المفترض أن تقول والدته «تسديدات رائعة يا مازن! لقد عادت تدريباتك بالنفع!» فهذه الرسالة تنقل فخرها بما أنجزه أيضًا، ولكن بدلاً عن ربط «السبب» بالقدرة الغريزية، ربطت والدة مازن «السبب» بالمجهود الذي بذله في التدريب. وسيغير هذا الأمر أفكار مازن وخطواته التالية على الأرجح؛ إذ سمع والدته تنسب لعبه الرائع إلى المجهود الذي بذله. وهو متحمس للتدريب القادم حيث سيواصل تحسين مهاراته. وسينصب تركيز مازن على التطور والتقدم والتحسين المستمر.

وفيما يلي دراسة لموقف في الحياة الأكاديمية:

فريدة متحمسة لتطلع عمتها على بطاقة تقييمها بعد انتهاء الفصل الدراسي الأول من الصف الثالث. صاحت عمتها «يالروعة يا فريدة، لقد حصلتي على درجة الامتياز في كل المواد! يا لكِ من فتاة ذكية، تمامًا مثل والدتك!» ابتسمت فريدة ابتسامة عريضة وفكرت مع نفسها أنه لشيء رائع أن تكون ذكية.

ما الرسائل التي سمعتها فريدة من «الثناء على السمات الشخصية» الذي قدمته عمتها؟

- ✦ حصلت فريدة على درجات الامتياز في جميع المواد لأنها ذكية.
- ✦ والدة فريدة ذكية، لذا فإن فريدة قد ولدت بهذا الذكاء حتمًا.

رسخت عمة فريدة منظور طريقة التفكير الثابتة، أليس كذلك؟ حيث إنها قدمت مفهومًا ضمنيًا من خلال تقديم الثناء إلى فريدة على كونها ذكية بأن الذكاء أمر تمتلكه أو لا تمتلكه، وليس أمرًا يمكنك تطويره. وقد تنسب

فريدة نجاحها في المدرسة إلى حقيقة أنها ولدت ذكية. وقد تكون محصلة طريقة التفكير هذه أن تبتعد فريدة عن القيام بمزيد من المهام الصعبة، راغبةً في عدم تغيير رأي أي شخص في ذكائها الفطري. وقد تفترض أن كل التعلم سيكون سهلاً بالنسبة لها، لذا عندما تواجه تحديًا، ستشعر بأنها محبطة بدلاً عن أنها مثابرة.

كيف كانت ستختلف هذه المواقف إذا ما أظهر مازن وفريدة علامات إخفاق ولم يكونا ناجحين. اكتشف الباحثان إيفون سكيبر (Yvonne Skipper) وكارين دوغلاس (Karen Douglas) (2012)، وهما باحثان بجامعة كينت بالمملكة المتحدة، أنه عندما يبدأ الأطفال بالإخفاق في مهمة، فإن استخدام «الثناء على السمات الشخصية» سيفضي إلى استجابة سلبية للإخفاق أكثر بكثير من تقديم التعليقات بشروط أسلوب الثناء على التصرف. ودعم ما توصلا إليه من خلال بحثهما من اعتقادنا بأن الثناء يجب أن يكون ذا طبيعة محددة وأقل توجيهًا نحو الأشياء التي لا يستطيع الطفل تغييرها.

ولنضع سيناريو آخر نصب أعيننا لدراسة هذه الفكرة دراسةً موسعةً.

> تبلغ لميس من العمر 13 عامًا وقد شاركت في نادي الفنون بأنشطة ما بعد المدرسة الخاص بمركز الترفيه منذ أن كانت في رياض الأطفال. وعلِقَت العديد من قطع لميس الفنية على حوائط المركز المجتمعي، وفازت بمسابقة النحت بالمدرسة في الخريف الماضي. وقد استمتعت بنادي الفنون لفترة طويلة وتنتظر بشغف فترة بعد الظهيرة في يوم الأربعاء ليتسنى لها تطوير مهاراتها وتعلم تقنيات جديدة. وقد حصل طلاب نادي الفنون المتفوقون عل دروس رسم أسبوعية مع الرسامة كيسرا هوفمان (Kesra Hoffman) وهي

رسامة ذائعة الصيت. وقد عرضت كيسرا على مجموعة لميس وسيلة جديدة وهي ألوان غواتش، التي هي عبارة عن ألوان مائية غير شفافة صنعت خصيصًا. وعلى الرغم من الأسابيع العديدة التي قضتها لميس في الممارسة، ما زالت تكافح مع عملية مزج الألوان، وقد تخلت عن العديد من القطع التي كانت قد شارفت على الانتهاء نظرًا لأن آمالها قد خابت ولم تعد راضية بالنتائج التي حصلت عليها. وقد لاحظ والد لميس مؤخرًا انخفاضًا في مقدار الوقت الذي تقضيه في التحضير لدروس نادي الفنون الأسبوعي.

وصاحت لميس قائلةً: «لقد سئمت من العمل على هذا الشيء وأنا أراه ينتهي إلى عكس ما أرغب به مرارًا وتكرارًا!» وذلك عند خروجها من غرفتها حاملة فرشاة الرسم وقطعة ورق رسم مجعدة في يدها الأخرى. أجفل والد لميس؛ حيث إن هناك ورقة أخرى مهدَرَة من لوحة الرسم غالية الثمن التي أهداها إياها في عيد مولدها.

وكان غير متأكد مما يتوجب عليه قوله لابنته المحبطة؛ حيث إنه رد قائلاً: «يا عزيزتي لميس، لقد وهبك الله موهبة جميلة في الرسم. فكل ما تقومين برسمه رائع».

ماذا سمعت لميس؟

- أنها ولدت بموهبة فنية.
- والدها لا يريد سوى أن تشعر بارتياح؛ لذا قال إن كل شيء تقوم برسمه رائع في ناظريه.
- يجب أن يكون استخدام ألوان غواتش سهلة بالنسبة لها، مثلها مثل أي تقنيات أخرى. وإن لم يكن كذلك، فقد يعني هذا أنها ليست جيدة بالرسم كما يظن الجميع.

اختار والد لميس استخدام الثناء لمحاولة طمأنة ابنته المحبطة. لقد آمل أنه بتذكيره إياها بموهبتها في الرسم، سيرفع من ثقتها، ولكن في الواقع قد ينجم عن التعليق أثر عكسي. وقد ساهم كل ما سمعته لميس في التفكير بطريقة ثابتة. لقد تلقت الثناء على كونها «موهوبة بالفطرة» بدلاً عن الجهد المبذول، أو استخدام الاستراتيجيات، أو إظهار روح المثابرة.

إننا نسمع ثناءً مثل الذي تلقاه مازن وفريدة ولميس كل يوم. وتكون نية البالغين الذين يقدمون هذا الثناء حسنة. كما أننا (ماري كي ومارغريت) نقوم بهذا الأمر! حتى بعد كل تلك السنوات من الدراسة حول طرق التفكير المتطورة والثابتة والكتابة عنها وتقديم العروض التوضيحية عنها، ما زلنا نجد أنفسنا نقدم الثناء لأطفالنا على كونهم «أذكياءً» أو «موهوبين بالفطرة» من دون قصد. بينما الأخبار الجيدة هي أننا (في أغلب الحالات) نسيطر على أنفسنا قبل تقديم الثناء بصوت عالٍ. فإننا قادرون على إعادة توجيه الثناء المتعلق بطريقة التفكير الثابتة واستبداله، ولقد أضفنا طرقًا جديدة لتقديم الثناء لترسانتنا التي نعزز بها طريقة التفكير المتطورة. يمكنك فعل ذلك أيضًا من خلال الممارسة. لنلقِ نظرة على ثلاثة أنواع من الثناء بطريقة التفكير المتطورة.

النوع الأول من الثناء بطريقة تفكير متطورة: الثناء على المجهود

إن الإقبال على التحديات بالعمل الجاد والمجهود لهو السمة المميزة لطريقة التفكير المتطورة.

يرى الأشـخاص في طريقة التفكير الثابتة أن الحاجة إلى العمل الجاد علامة علـى أن ذكاءهـم غيـر كافٍ أو أنهم ليسـوا موهوبيـن كفاية بالفطرة لفعل شـيء ما. ويمكن أن يتسبب هذا الأمر في أن يستسلم الأشخاص مبكرًا، ويشعرهم بالإحباط، ويؤدي بهم للافتراض أنهم لن يستطيعوا القيام بأمر جيد في موهبة بعينها. أما في طريقة التفكير المتطورة فإن الأشخاص يرون العمل الجاد والجهد المبذول مفتاحًا للنجاح. وإنا نرغب أن يتفهم أطفالنا أن العمل الجاد ليس علامة على الضعف لكنه شـيء يتوجب علينا تبنيه. وتسـاعد فكرة الحاجة إلى العمل الجاد، سـواء في مشكلة في الرياضيات أو في الرسم بالزيت أو في رقصة روتينية جديدة، الأطفال في إقامة ارتباطات عصبية أقوى وتطوير أدمغتهم. وبدلاً من الابتعاد عن الظروف التي تجبرهم على تقديم أفضل ما لديهم، فإنا نرغب في تشـجيعهم على السـعي خلف التحديات التي تتطلب بذل مجهود. وقد قال وينسـتون تشرشـل (Winston Churchill) رئيس وزراء المملكة المتحدة إبان الحرب العالمية الثانية، مقولته الشهيرة: «يرى المتشائم الصعوبة في كل شـيء، بينما يرى المتفائل الفرصة في كل صعوبة». إن الإقبال على التحديات بالعمل الجاد والمجهود لهو السمة المميزة لطريقة التفكير المتطورة.

إننا بحاجة للتأكد من سـماع الأطفال للثناء المتعلق ببذل الجهد، وذلك مـن أجـل تطويـر هذه النوعية. حيـث يوفر الثنـاء على الجهد المبـذول تعليقًا محددًا يقدر العمل الجاد الذي يشارك فيه الطفل، على سبيل المثال:

- «يمكنني رؤية مقدار العمل الجاد الذي تقوم به! استمر!»
- هذا الأمر ليس سهلاً، أليس كذلك؟ لا بأس! إنك تحرز تقدمًا وتقدم أفضل ما لديك!»
- «لكـم أحـب رؤية المجهـود الذي تبذله في هذا المشـروع! لا بد أنك فخور بما تقوم به!»
- «لقـد عملت بجد على هذا الأمر لسـاعة كاملـة! عمل جيد. ما رأيك باستراحة لتناول وجبة خفيفة قبل العودة مجددًا؟!»

- «بالرغم من أنك لم تعرف طريقة تشغيلها بعد، إلا أنك أقرب بكثير منذ أن بدأت! يمكنني حقًا رؤية كم يؤتي إصرارك ثماره!»

> **عندما يتلقى الأطفال الثناء على ما يبذلونه من جهد، فعلى الأرجح سيتعلمون درس الحياة الرئيسي مبكرًا أكثر من العديد منا وهو: كل شيء نستحق الحصول عليه في الحياة هو نتاج العمل الجاد.**

- «أعرف كم صعوبة أن تقضي كل هذا الوقت في مثل هذا المشروع، ولكنك ستشعر بالرضا بعد انتهائه!»
- «إن رؤيتك تحاول بطرق عديدة إيجاد حل لهذه المشكلة ليذكرني بما أقوم به في العمل عند مواجهة مشكلة معقدة».

عندما يتلقى الأطفال الثناء على ما يبذلونه من جهد، فعلى الأرجح سيتعلمون درس الحياة الرئيسي مبكرًا أكثر من العديد منا وهو: كل شيء نستحق الحصول عليه في الحياة هو نتاج العمل الجاد. وبرؤية أن الحاجة للعمل الجاد في شيء ما أمر إيجابي وليس سلبيًا، فإن الأطفال سيسعون على الأرجح خلف التحدي وتبني الكفاح.

النوع الثاني من الثناء بطريقة تفكير متطورة: الثناء على الاستراتيجية

يتيح لنا تقديم الثناء على الاستراتيجية دمج نوعية «الشعور بالارتياح» الناجمة عن الثناء مع الخاصية التي تضيف قيمة إلى التعليق؛ إذ إننا في عملية تقديم الثناء على الاستراتيجية نوضح للطفل أن استخدام مهارات

معينة ومعرفة مسبقة يقطع شوطًا طويلاً نحو تحقيق النجاح. ولنضع سيناريو نصب أعيننا يكون فيه تقديم الثناء على الاستراتيجية مناسبًا:

عاد تامر إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع في منتصف الفصل الدراسي ليقابل والدته مريم. فلقد تكيف جيدًا مع المتطلبات الأكاديمية والفرص الاجتماعية للحياة الجامعية، ولكنه محبط مما يحرزه من تقدم في مقرر الفلسفة. وقال تامر أثناء تناول العشاء بأسفٍ: «إن المعلمة مُربِكة ولا تحب أي شيء أقوم به» واستطرد «لقد فكرت في أن الفلسفة ستكون مقررًا شيقًا، ولكن دائمًا هناك خيبة أمل بعد أخرى. ولقد زرت المعلمة خلال ساعات العمل، كما انضممت إلى المجموعة الدراسية التي اقترحتها علي. «أتمنى أن يجدي هذا الأمر نفعًا».

سيكون من السهل على والدته مريم أن تتعاطف معه أو تشاركه أنها هي الأخرى كانت تعاني في مقررات مشابهة في الجامعة. ولكن هذا هو الوقت المناسب لمساعدته في تعزيز طريقة التفكير المتطورة بدلاً من التعاطف، وذلك من خلال تقديم الثناء على حقيقة أنه قد استخدم بالفعل عديدًا من الاستراتيجيات ليثابر مع مقرر صعب.

حيث قالت مريم: «إنني معجبة بأنك تتبع إرشادات المعلمة وانضممتَ إلى المجموعة الدراسية بالفعل». وأكملت: «فهذا يدل على الكثير من الاهتمام وبذل الجهد من ناحيتك. عمل جيد».

عندما نستخدم طريقة تقديم الثناء على الاستراتيجية، فإننا نقدم إلى الأطفال تعليقات وإرشادات وفي الوقت ذاته نعزز فكرة أنهم قد اتخذوا القرارات المناسبة. إذ إنَّ هذا المزيج مهم للغاية؛ حيث يوفر الجزء الأساسي من التعليق العديد من

المقاصد المهمة، طبقًا للمؤلفة والمربية ماجا ويلسون (Maja wilson 2012). أولاً يساعد هذا الأمر الطفل في تحسين المحصلة النهائية أو المنتج النهائي. كما أنه يدعم الطفل لتطوير رؤية صحية عن نفسه كمتعلم. وأخيرًا فإنه يساعد الطفل على تطوير فهم معنى القيام بالمهمة على أكمل وجه. (ماجا ويلسون 2012)

شرع الباحثون بجامعتي شيكاغو وستانفورد (جاندرسون (Gunderson) وآخرون 2013) في مشروع تعاوني مهم عن كيفية قياس الثناء الذي قدمه أولياء الأمور عندما كان أطفالهم في سن يتراوح بين عامين إلى 4 أعوام، وذلك لمعرفة ما إذا كان نوع الثناء الذي تلقاه الأطفال بالمنزل في سنوات التكوين تلك سيؤثر على أدائهم بعد خمس سنوات أخرى أم لا. واتضح بشكل مثير للاهتمام أن الأطفال الذين تلقوا العديد من عبارات الثناء عندما كانوا أطفالاً حديثي المشي على ما خاضوه من تحدٍ (أكثر من كونهم أذكياءً أو موهوبين) أقرب احتمالاً لاختيار المهام الصعبة ونسب النجاح والفشل إلى حجم الجهد المبذول واستحداث استراتيجيات للتحسن في سن 7 إلى 9 أعوام. (جاندرسون وآخرون 2013)

إن الطريقة الوحيدة للتذكير باستخدام طريقة تقديم الثناء على الاستراتيجية هي تحويل تركيز ثنائنا. بدلاً عن إبراز نتائج عمل الطفل؛ حيث يمكننا إبراز الخطوات التي قاموا بها على طول الطريق. ومن هذا المنطلق فإننا نعير انتباهًا أقل إلى المحصلة النهائية؛ مثل درجة الامتياز في اختبار العلوم، والهدف الذي أحرزته، واللوحة الرائعة، والتركيز على العملية التي جرت من أجل الحصول على هذه المحصلة. (جوديث سويسا، وهي محاضر أول في فلسفة التربية بمعهد التربية بجامعة لندن، Suissa 2013، الصفحة 3). حيث تساعد التعليقات القيمة، في سياق تقديم الثناء على الاستراتيجية، الأطفال على التعلم والتحسن وفي الوقت ذاته تعزيز طريقة التفكير المتطورة.

النوع الثالث من تقديم الثناء بطريقة تفكير متطورة: الثناء على المثابرة

أحيانًا وعلى الرغم من بذل مقدار من العمل الشاق وتطبيق العديد من الاستراتيجيات، فإننا نواجه تحديات تتطلب وقتًا للتغلب عليها. وتدور هذه التحديات على الأغلب حول تعلم شيء جديد، حيثما يتوجب على أدمغتنا صنع ارتباطات جديدة «وتكوين أنفسها» للقيام بشيء مختلف. ويكون أقل ما يقال عن عدم إحراز تقدم في المراحل الأولى من التعلم مخيبًا للآمال. كما تحتاج المهمة أن تكون على قدر كافٍ من التحدي من أجل إظهار روح المثابرة. وطبقًا لكرستين ديكبرو (Kristen DiCerbo 2014) وهي نائب رئيس بحوث التعليم في بيرسون، التي درست إصرار الأطفال في مهام تعلم متعلقة بالألعاب، فإن «المهام السهلة لن توفر التحدي المطلوب والإخفاق الذي سيسمح باستمرار المثابرة». (صفحة 20)

إن تعلم الكتابة على لوحة المفاتيح مثال قوي يمكن للكثير منا فهمه. فالعديد منا لديه وظيفة تتطلب أن يكون قادرًا على القيام بالكثير من «الكتابة بكلتا اليدين» على لوحة المفاتيح، ولكن تعلم هذه الطريقة يعتبر مهارة تتطلب أكثر من مجرد معرفة الأزرار ووظائفها والالتزام بالعمل الجاد. كما أننا نقترف الكثير من الأخطاء طوال هذه العملية. فعند تعلم الكتابة على الآلة الكاتبة قديمًا، كان الأمر يتطلب سائل تصحيح الأخطاء وعكس خاص لضغطات المفاتيح، فالحمد لله أن كل ما نحتاجه اليوم هو استخدام مفتاح المسافة للخلف في لوحة المفاتيح.

الكتابة على لوحة المفاتيح مثل تعلم ركوب الدراجة هي مهارة تصبح تلقائية، ولكن بعد قدر كبير من الممارسة. والممارسة تستغرق زمنًا. فإذا

كبرنا على الإحباط والاستسلام دون بذل جهد في وقت كافٍ، فلن نتمكن من الكتابة على لوحة المفاتيح باحترافية.

ويقودنا هذا الأمر إلى النوع الثالث من أنواع تقديم الثناء المتجه نحو طريقة التفكير المتطورة، وهو تقديم الثناء على المثابرة. وعند تقديم الثناء إلى الأطفال من أجل اجتياز خيبات الأمل، نساعدهم على إدراك أن المهام تتطلب منا أحيانًا بذل مجهود. **على مدى فترة زمنية طويلة**. وتثبط همة العديد من الأطفال بسهولة عند عدم تمكنهم من حل لغز، أو القيام بوثب اليدين إلى الأمام، أو فهم القسمة المطولة، أو تسجيل ضربة جزاء. في كتاب *NurtureShock: Why Everything We Think About Raising Our Children Is Wrong*، للمؤلفين: بو بونسون (Po Bronson) وأشلي ميرمان (Ashley Merryman (2009)) توصلا إلى أنَّه مثلما يُمكن تدريب الفئران على التغلب على الإحباط عندما تجد طعامًا في إحدى المتاهات، فإنَّ عقل الإنسان يمكنه أيضًا أن يتعلم المثابرة عبر خوض التحديات.

> **عند تقديم الثناء إلى الأطفال من أجل اجتياز خيبات الأمل، نساعدهم على إدراك أن المهام تتطلب منا أحيانًا بذل مجهود. على مدى فترة زمنية طويلة.**

تستغرق العديد من المهارات وقتًا لتصبح كاملة، ولكن مفهوم الأطفال عن الوقت مختلف عن مفهومنا نحن. اطلب فقط من طفل عمره 4 سنوات انتظار شيء ما لمدة 10 دقائق وسترى ما أعنيه. ولهذا السبب فإن تقديم الثناء على المثابرة يعزز المفهوم القائل بأنه من الطبيعي أن تستغرق بعض الأشياء الوقت لتتطور. ولنلق نظرة على كيفية استخدام هذا الأسلوب:

انضمت نجلاء التي تبلغ من العمر 10 أعوام إلى فريق السباحة في منطقتها لأول مرة. وقد وضعها المدرب في فاعلية 25 مترًا سباحة حرة في لقائها الأول، آملاً أنها ستكتسب الثقة من المسافة القصيرة والضربة البسيطة. وكانت نجلاء قلقة، ولكنها بدأت بالحواجز ونظاراتها الواقية مثبتة بإحكام وتسبح باهتياج. وشاهدها والداها من جانب المسبح، لا حيلة لهما عند رؤيتها تسبح نحو مسارات السباحة وتبدأ في المكافحة. كما شاهدها المدرب أيضًا، وبدأ بتشجيعها.

يمكن لنجلاء أن تقول إن الأطفال الآخرين أنهوا السباق بالفعل عندما كانت في منتصف المسبح. ونظر والداها إليها بينما كانت تنظر حولها وتساءلا إذا كانت ستتوقف عن السباحة وتستسلم أم لا. ولكن نجلاء خفضت رأسها نحو الأسفل وضربت بكل ما أوتيت من قوة بطريقة متعرجة خلال مسار السباحة حتى وصلت أخيرًا إلى حائط النهاية.

هتف مدربها: «يالروعة يا نجلاء! سباحة جيدة» وقال: «لقد رأيت أنك واجهت بعض الصعوبات في مسار السباحة ولكن لم تدعِ هذا الأمر يثنيكِ عن مرادك. لم تستلمي!»

إذ استخدم مدرب نجلاء في أسلوب الثناء على المثابرة كلاً من معرفته بالصعوبة التي واجهتها ودعمه لقرارها بتخطي هذه الصعوبة. وبالتأكيد ستواجه نجلاء سباقات أخرى ستفقد فيها نظارات الوقاية، أو ستخفق في الانعطاف، أو تنهي السباق في المركز الأخير. وقد علمها مدربها من خلال استخدام أسلوب الثناء على المثابرة رؤية هذه الصعوبات كتحديات يمكن التغلب عليها.

قوة تأثير كلمة «حتى الآن»

تترك أمثلة تقديم الثناء التي شاركناها شكوكًا قليلة إلى حد ما حول قوة كلماتنا في التأثير على كيفية اتخاذ الأطفال للقرارات في المرة المقبلة. ويمكنك التكيف على طريقة تقديم الثناء بطريقة تفكير متطورة بانتظام من خلال الأفكار والممارسة المدروسة. ولكن هناك نصيحة لغوية أخرى نعتقد أنها قد تكون أكثر فائدة على مدى فترة زمنية طويلة.

ولقد سمعنا جميعًا البالغين يقولون للأطفال «قل الكلمة السحرية» عند رغبتهم في التلميح إلى الطفل ليقول «من فضلك» عند طلب كعكة أو دمية أو مساعدة إضافية عند صنع ملفوف بروكسل (نعم ربما لن تكون المرة الأخيرة). حيث لا يمكن أن يتجادل أحد في أن كلمة «من فضلك» ليست كلمة مهمة للغاية ومفهومًا ليستخدمه الأطفال ويتفهموه، ولكن عند ترسيخ طريقة تفكير متطورة هناك «كلمة سحرية» أيضًا. الكلمة السحرية هي حتى الآن.

حتى الآن هي عبارة مفعمة بالأمل تعني «في وقت ما بالمستقبل». إذ إنَّ لها تأثيرًا قويًّا على بناء طريقة التفكير المتطورة؛ نظرًا لأنها الترياق للرؤية الثابتة لكلمة «لا يمكنني»، وليس لمجرد أن الطفل لا يمكنه فعل شيء في الوقت الحالي، فهذا يعني أنه لن يتمكن من إنجازه أبدًا. تخيل كم عدد الأشياء التي لن تكتشَف، وكم عدد الأرقام القياسية التي لن يتم تحطيمها، وكم عدد الأحلام التي لن يعرف بها أحد إذا عاش الناس في الحياة بمفهوم «لا يمكنني». إذ أن عدم القدرة على إحراز تقدم، أو حل مشكلة أو العزف على آلة موسيقية على نحو كامل **اليوم** أمر مؤقت. حيث إن التحسن والإنجاز ممكنان دائمًا من خلال العمل الجاد، وبذل الجهد، والمهارات المتزايدة. وفي ذلك تكمن قوة تأثير **حتى الآن**.

حتى الآن هي عبارة مفعمة بالأمل تعني «في وقت ما بالمستقبل». إذ إنَّ لها تأثيرًا قويًّا على بناء طريقة التفكير المتطورة؛ نظرًا لأنها الترياق للرؤية الثابتة لكلمة «لا يمكنني»

وقد تتمكن من فهم الأمر من خلال هذا السيناريو:

تعمل سارة مقدمة خدمات رعاية أطفال؛ حيث تعتني بأربعة أطفال في مرحلة الروضة طوال اليوم بينما أولياء أمورهم في العمل. ومن واجبات سارة اللعب التفاعلي والواجبات الصحية، كما أنها تتأكد من توفير الوقت للأطفال لممارسة الحروف الأبجدية والأرقام. وفيما تكافح نورهان ذات الثلاث أعوام بقوة في تعلم كيفية كتابة اسمها. صاحت: «يتكون اسمي من حروف كثيرة. لا يمكنني كتابته!» ودخلت في نوبة من البكاء بعدما رأت الأطفال الثلاثة الآخرين قد انتهوا من مهمة كتابة أسمائهم. بينما تحاول سارة تهدئة نورهان وتساعدها على إنهاء كتابة اسمها، كانت تتمنى خُفيَةً لو أنها استخدمت لقب «نور» حتى يتجنبوا جميعًا ذلك البكاء المعهود.

هل ستعرف نورهان طريقة كتابة اسمها؟ بالتأكيد ستعرف! هل سيحدث ذلك بين عشية وضحاها؟ بالطبع لا! إن محاولة كتابة اسمك أمر معقد يحتاج إلى تعلم ترتيب الحروف، ثم تعلم كيفية كتابة كل حرف. الأمر مثل عدم قدرة نورهان على ركوب دراجة وقيادتها تمامًا، فهي تحتاج وقتًا لممارسة طريقة كتابة اسمها. لا يمكنها كتابة اسمها **حتى الآن**. وتستطيع سارة تعزيز

هذه الفكرة من خلال استخدام عبارة **حتى الآن** في حوارها مع نورهان. في المرة المقبلة التي تقول فيها نورهان «لا يمكنني» أو «لا أعرف كيفية القيام بهذا الأمر!» يمكن أن ترد سارة: «ربما لا يمكنك حتى الآن، ولكن مع بعض الممارسة ستتمكنين من فعلها!»

وليس طالب الروضة فقط هو من يقع في فخ «لا يمكنني». فجميعنا نقع في هذا الفخ! فهو فخ؛ نظرًا لأنه عادة يتوقف أمام زخم تحقيق الأهداف. فحينما يصرح الأطفال بعدم قدرتهم على فعل شيء ما أو أنهم ليسوا جيدين كفاية أو أنهم لا يعرفون كيفية القيام بالأمر، يكونوا قد خرجوا من مأزق إنجاز هذه المهمة. حيث يمكنهم «الانسحاب» من العمل الصعب أو من بذل جهد مضاعف؛ نظرًا لأنهم أعلنوا عن شيء صعب للغاية.

قام المدير بريان فاسكوينزا (Brian Vasquenza) وفريق العمل الخاص به، في ثانوية موناكاكي في مقاطعة فريدريك بولاية ميريلاند، بشيء بسيط ولكنه فعَّال، وذلك عندما طبعوا عبارة حتى الآن بحروف سوداء كبيرة على ورقة صفراء فاقعة ووضعوها في كل غرف الصف في المدرسة. حيث أراد فاسكوينزا ومعلموه التأثير على ثقافة المدرسة؛ لذا لم يكن مصرحًا للتلاميذ «بالانسحاب» من العمل الصعب أو عملية التعلم الصارمة. كما أن رؤية الكلمة ذكرت الطلاب والبالغين في المبنى أنهم يتعلمون، ويتطورن، ويتحسنون يومًا بعد يوم. فعندما بدأ طالب بقول «لا يمكنني»، أشار المعلمون إلى الكلمة. وبدأ الطلاب في استخدام كلمة حتى الآن لتشجيع بعضهم البعض. وذكرَّت قوة تأثير الكلمة السحرية حتى الآن الجميع أن تعلم شيء جديد أمر صعب، ولا أحد يُتوقَع أن يكون خبيرًا على الفور، ولكن بالتفاني والعمل الجاد سيتحقق النجاح.

حينما يصرح الأطفال بعدم قدرتهم على فعل شيء ما أو أنهم ليسوا جيدين كفاية أو أنهم لا يعرفون كيفية القيام بالأمر، يكونوا قد خرجوا من مأزق إنجاز هذه المهمة. حيث يمكنهم «الانسحاب» من العمل الصعب أو من بذل جهد مضاعف؛ نظرًا لأنهم أعلنوا عن شيء صعب للغاية.

حتى أن برنامج العرائس (عالم سمسم Sesame Street) انتهج فكرة استخدام عبارة **حتى الآن** عندما زارت المغنية جانيل موناي (Janelle Monae)، وهي مغنية وكاتبة أغاني وعارضة أزياء أمريكية، عرض عالم سمسم في موسمه الخامس والأربعين. وغنت جانيل والشخصيات، ورقصوا أثناء تعليم الأطفال أن النجاح يستغرق وقتًا. ويمكنك مشاهدة مقطع الفيديو عبر: https://youtu.be/XLeUvZvuvAs.

ممارسة طرق تقديم الثناء والتعليقات بطريقة تفكير متطورة

جاك أندراكا (Jack Andraka) هو عالم ومخترع وباحث في الأمراض السرطانية، ومؤلف؛ لديه سيرة ذاتية رائعة يتمنى أي شخص امتلاكها، ولكن ما هو أكثر من رائع أن جاك يبلغ من العمر 18 عامًا وهو طالب بالسنة الأولى بجامعة سانفورد. وقد تربيا والداه؛ ستيف (Steve) وجين (Jane) مفكرين مستقلين ومبتكرين. وعندما طلب منهما الكاتب سيث ستيفنسون (Seth Stevenson 2015) الكاتب بصحيفة **وول ستريت جورنال تقديم** نصيحة لأولياء الأمور الآخرين، قالت جين: «لا تخبر صغارك كم هم أذكياء.

وقدم الثناء إليهم على المجهود المبذول وروح المثابرة. وأخبرهم أن الفشل لا بأس به، وأنك تحب الطريقة التي يتعاملون بها مع الأمور». (الفقرة 16).

وكانت هذه الرسالة المدروسة محورية في تطوير عزيمة جاك ودوافعه. وبعدما أبدى جاك اهتمامًا بعلامات الإنذار المبكر لسرطان البنكرياس، جاء بفكرة لاختبار بسيط وسريع الاستجابة وضع آماله فيه أن يتمكن من خلاله من اكتشاف سرطان البنكرياس مبكرًا لتوفير الوقت اللازم للتدخل الطبي. وأرسل مقترحه العملي إلى 200 أستاذ جامعي مهتمين بأبحاث سرطان البنكرياس، وفيما يلي نص مقترحه:

عزيزي الدكتور (...)

أنا طالب بثانوية مقاطعة نورث. إنني أعمل حاليًا على مشروع علمي في مجال استخدام الأنابيب النانونية والأجسام المضادة في اكتشاف سرطان البنكرياس (سلالة RIP1). وخططت في مشروعي لصناعة المستضدات والأجسام المضادة الخاصة بي من خلال تطعيم فأر بمستضد MUC1. حيث سيتم استخراج مستضد MUC1 من سلالة RIP1 المطعمة بطعم غيري، وسيتم استخراجها باستخدام الفينول الساخن: إجراء استخراج المياه. ومرفق إليكم في هذا البريد الإلكتروني الإجراء الخاص بي. وكنت أتساءل إذا كان بإمكاني العمل في المعمل الخاص بكم لإنتاج مستضد MUC1، والذي سيتم استخدامه فيما بعد لإنتاج المضاد السرطاني PAM4. شكرًا لوقتكم، وأود الإشارة إلى أن ما تقومون به من أبحاث مذهل للغاية. وإن لم يكن بإمكانكم مساعدتي، فهلا أرشدتموني إلى شخص بإمكانه تقديم المساعدة؟

تحياتي، جاك أندراكا

(أندراكا، 2015، صفحة 116)

وأرفق جاك مقترحًا مفصلاً مكونًا من 30 صفحة ببريده. ولست وحدك الذي لا يعلم ما هو MUC1، فجميعنا لا نعلم ماهيته. إذ إنَّ خبرة جاك في هذا المجال وفهمه لبحوث السرطان يتجاوز فهمنا. فيما كان الأمر الواقع هو الرفض بعد الرفض الذي انهال عليه في الأسابيع القليلة التالية، وحينها كان اختبار طريقة تفكير جاك ووالديه في التفكير، مع أن الاختبار كان قاسيًا. وجاء الرد رقم 193 على طلب جاك من الدكتور أنيربان ميترا (Anirban Maitra) الأستاذ بجامعة جونز هوبكنز، الذي سمح لجاك باستخدام معمله للعمل على المشروع، فيما فاز ذلك المشروع بمسابقة إنتل الدولية للعلوم والهندسة 2012، وما يزال يبشر بالخير لمستقبل التشخيص السريع لأنواع عدة من السرطان. (أندراكا، 2015)

كيف كانت ستختلف هذه القصة إذا لم ينتهج جين وستيف أندراكا رؤية بطريقة تفكير متطورة لتقديم الثناء والتعليقات؟ هل سيكون جاك قادرًا على المثابرة خلال خيبات الأمل ليقترب أكثر وأكثر من تحقيق حلمه؟ وقد كان لنا شرف مقابلة جاك، ولم يفوت الفرصة لينسب الفضل لوالديه في مساعدته على تعلم المثابرة خلال التحديات. ومَن أفضل شخص يمكنه قيادة الجيل الجديد من أبحاث السرطان أكثر من شخص ينتهج طريقة تفكير متطورة مثل جاك؟

إن انتهاج أسلوب تقديم التعليقات والثناء بطريقة تفكير متطورة في منازلنا ليس أمرًا سهلاً كما تعتقد. إذ إنه يتطلب الممارسة والوقت والتفكير بطريقة متطورة من أولياء الأمور والأوصياء وخاصة الأجداد! ويوفر الشكل 3 فرصة لاستبدال عبارات طريقة التفكير الثابتة الخاصة بك بعبارات طريقة تفكير متطورة. ويسمح لك الشكل 4 باستبدال بعض عبارات طريقة التفكير الثابتة التي يوجهها أولياء الأمور إلى أطفالهم. وإذا كنت تقرأ هذا الكتاب كجزء من نادي الكتب أو مع شريك، فناقشا كل عبارة معًا وتوصلا إلى أكبر عدد من عبارات طريقة التفكير المتطورة للاستبدال. (إن كنت بحاجة إلى

المساعدة، فيمكنك النظر خلسة إلى بعض عبارات الاستبدال المقترحة التي يمكنك العثور عليها بالملحق أ) وبمجرد التوصل إلى عبارات طريقة التفكير المتطورة، فاطرح على نفسك الأسئلة التالية:

- هل توفر عبارة الاستبدال تعليقًا محددًا؟
- هل تركز عبارة الاستبدال على تصرف الطفل أكثر من سماته الشخصية؟
- هل تعزز عبارة الاستبدال القيمة التي توليها للجهد المبذول والعمل الجاد واجتياز العوائق أو التحديات؟

استبدال عبارات طريقة التفكير الثابتة الخاصة بأولياء الأمور

قرأت كل عبارة من عبارات طريقة التفكير الثابتة أنك، باعتبارك ولي أمر، قد تتحدث عن نفسك في العمود الأيسر. اكتب عبارة طريقة تفكير متطورة واحدة على الأقل يمكنها أن تحل محل عبارة طريقة تفكير ثابتة. العبارة الأولى مثالًا.

عبارات طريقة التفكير الثابتة	عبارات الاستبدال لطريقة التفكير المتطورة
إنني طاهٍ سيئ!	أحتاج إلى إيجاد بعض مقاطع الفيديو على الإنترنت التي تتضمن بعض أساليب الطبخ التي لا يمكنني القيام بها حتى الآن.
لن أصبح جيدًا في هذا الأمر.	
إنني ماهر في أعمال البستنة.	
أترك أمورًا مثل (الماليات، والتكنولوجيا، وأعمال الطبخ، وغيرها) إلى شريك حياتي.	
إن التعلم في الكبر كالنقش على الماء.	

الشكل 3. عبارات الاستبدال لأولياء الأمور.

استبدال عبارات طريقة التفكير الثابتة التي يقولها ولي الأمر إلى الطفل

قرأت كل عبارة من عبارات طريقة التفكير الثابتة التي قد تقولها، باعتبارك ولي أمر، في العمود الأيسر. اكتب عبارة طريقة تفكير متطورة واحدة على الأقل يمكنها أن تحل محل عبارة طريقة تفكير ثابتة. العبارة الأولى مثالًا.

عبارات طريقة التفكير الثابتة	عبارات الاستبدال لطريقة التفكير المتطورة
أنت ذكي جدًا!	يمكنني رؤية كم الجهد الذي بذلته في عملك!
إنك (موهوب). يجب عليك معرفة كيفية القيام بهذا الأمر.	
لم تكن الرياضيات من الأمور المفضلة لي.	
لا يوجد أي فرد من عائلتنا جيدًا في _____	
إنك محظوظ جدًا؛ ليس عليك أن تدرس كثيرًا!	
إنك فناني الصغير، وأختك هي مؤلفتي الصغيرة.	
هذا الأمر سهل بالنسبة لك. ليس عليك أن تحاول حتى!	

الشكل 4. عبارات الاستبدال التي يقولها ولي الأمر إلى الطفل.